لمن ذكره على وجهه بخلاف من قصد بر الغضاضة والتحقير بل كانت
عادة جميع العرب نعم في ذلك للأنبياء حكمة بالغة وتدبير لله تعالى
لهم الى كرامته وتدريب برعايتها لسياسة امهم من خليقته بما سبق
لهم من الكرامة في الازل ومتقدم العلم وكذلك قد ذكر الله تيمه وعيله
على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكر الذاكر لها على وجه
تعريف حاله والخبر عن مبتدئه والتعجب من منح الله قبله وعظيم منته
عنده ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته اذا ظهر
الله تعالى بعد هذا على صناديد العرب ومزناواه من اشرافهم شناقيا
ونمى امرهم حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة ممالك
كثير من الامم غيرهم باظهار الله تعالى له وتاييده بنصره وبالمومنين والف
بين قلوبهم وامداده بالملائكة المسومين ولو كان ابن ملك اوذا اشياع
متقدمين لحسب كثير من الجهال ان ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه
ولهذا قال هرقل حين سئل اباسفيان عنه هل في اباته من ملك ثم قال
ولو كان في اباته ملك لقلنا رجل يطلب ملك ابيه واذا ليتم من صفته
واحد علاماته في الكتب المتقدمة واخبار الامم السالفة وكذا وقع
ذكره في كتاب ارميا وبهذا وصفه ابن ذي يزن لعبد المطلب وبجيرا
لابي طالب وكذلك اذا وصف بانه امي كما وصفه الله فهي مدحة له

وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزته اذ معجزته العظمى من القرآن العظيم
انما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم مع ما منح صلى الله عليه وسلم
وفضل به من ذلك كما قدمناه في القسم الاول ووجود مثل ذلك من رجل
لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى العبر ومعجزة
البشر وليس في ذلك نقيصة اذ المطلوب من الكتابة والقرآءة المعرفة
وانما هي آلة لها وواسطة موصلة اليها غير مرادة في نفسها فاذا حصلت
الثمرة والمطلوب استغنى عن الواسطة والسبب والامية في غيره نقيصة
لانها سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان من باين امره من امر غيره
وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته فيما فيه هلاك من عداه
هذا اشق قلبه واخراج حشوته كان تمام حيوته وغاية قوة نفسه
وثبات روعه وهو فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم موته وفناء وهلم
جرا الى سائر ما روى من اخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن
الملبس والمطعم والمركب وتواضعه ومهنته نفسه في اموره وخدمة
بيته زهدا ورغبة عن الدنيا وتسوية بين حقيرها وخطيرها
لسرعة فناء امورها وتقلب احوالها كل هذا من فضائله وماثره
وشرفه كما ذكرناه فمن ورد شيئا منها مورده وقصدها مقصده
كان حسنا ومن اورد ذلك على غير وجهه وعلم منه بذلك سوء